المحاضرة الثالثة: الأدب الاسباني

يعتبر الأدب الاسباني من الآداب التي بلغت العالمية، ولقد بلغ مبلغا عاليا خاصة في القرن 16 و17 ميلادي، وتدين إسبانيا بهذا إلى العديد من الكتاب والمبدعين حتى سميت هذه المرحلة بالقرن الذهبي.

مرجعيات الأدب الاسباني:

- ينتمي الأدب الاسباني إلى الآداب الأوروبية، وهذا الانتماء يجعله قريبا من الإرث اليوناني والإغريقي، وبالتالي سيحمل بالضرورة سيمات هذا الإرث بداية بالملاحم الهوميرية.
- تأثر الأدب الاسباني بإجماع الباحثين في بداياته بالثقافة العربية، بوصف أنّ هذه الأخيرة كانت في أوّجها، كما لا ينكر الأدب الإسباني تأثره بالأدب الفرنسي- والذي عرف تطوّرا كبيرا، لتظهر أولى القصائد الملحمية في القرن 12 بعنوان " السيد"، كما ظهرت في مرحلة لاحقة (القرن 14) مؤلفات مستوحاة من الدين المسيحي، والتي أقدم على نظمها رجال الدين لحضّ الشعب على اتباع تعاليم الدين المسيحي، وكذا تعليمهم الخلاق والتي كانت غائبة في تلك الحقبة.
- يظهر التأثير العربي في الاثار النثرية التعليمية والتي وضعها الملك " ألفونسو العاشر" في القرن 13 م، والذي أقبل على العلوم والمعارف العربية.
- تميّز القرن 14 بظهور شاعرين مميزين هما " خوان رويز" و " بيدرو لويز" مؤلف القصائد النقدية والهجائية بعنوان (قصائد العصر).

العصر الذهبي الإسباني:

يبدأ هذا العصر ـ من عهد شارل كان (1519) إلى وفاة الملك فليب الرابع (1665)، تأثر فيه الأدب الإسباني بالمدارس الإيطالية، خاصة في الشعر الملحمي والكتابات التمثيلية والتي لاقت رواجا منقطع النظير، وأخذت أصول المسرح الاسباني بالبروز.

لم تكن العناية بالرواية أقلّ شأنا، بل توجه الكثير من الكتّاب نحوّها وكتب في شتى أنواعها من (فروسية، واقعية، واجتماعية)، وأفضل ما كتب في هذه المرحلة رواية (دون كيشوت) للكاتب " ميغال دي سيرفنتيس".

بعد هذا العصر ـ أصيب الأدب الإسباني بنوع من التقهقر إلى غاية ظهور الرومانسية (1850/1830) والتي أثرت في شتى الفنون من رواية ومسرح وشعر.

قراءة في رواية دون كيشوت للكاتب ميغال دي سيرفانتس:

أ/ التعريف بالكاتب: Miguel de Cervantès

هو كاتب إسناني (1548-1616)، كان والده طبيبا متجوّلا، وكان يصحبه في رحلاته فلم تتسنى له فرصة الدراسة مثل أقرانه، لكنه انكب على قراءة الكتب، وأخذ في نظم الشعر باكرا، ثم انخرط في الجيش وتم أسره من طرف الأتراك سجن بالجزائر لمدة خمس سنوات.

بعودته إلى بلاده حاول التأليف من أجل تأمين عيشه، لكنه لم يلق الرواج فتحوّل إلى العمل في دوائر الإعاشة، لكنه اتهم بسوء التسيير فتم سجنه، وبعد الإفراج عنه قام بتأليف العديد من المؤلفات والتي أقبل عليها القراء بنهم كبير خاصة روايته " دون كيشوت".

ب/ ملخص الرواية:

هي رواية من جزئين، مثل فيها المؤلف حياة نبيل اسباني من الطبقة الوضيعة، يقضي أيامه في منزله مطالعا كتب الفروسية، ويغتذي بها ليل نهار إلى أن يتوهم نفسه واحدا من الفرسان الأبطال، فيخرج من بيته رفقة خادمه سانشو بانشا، وحصانه المتهالك القوى، حالماً بالأعمال البطولية، ومساعدة الضعفاء، ومقاتلة الظالمين.

تتحول الرواية إلى صراع بين هاتين الشخصيتين بأسلوب ساخر وفكاهي، يحاول فيه دون كيشوت العيش مثل فرسان الأزمنة الغابرة بينما خادمه يحاول حمايته من الواقع ومخاطره.

ج/ تأثيرها العالمي:

* استطاعت الرواية أن تجد لنفسها مكانا في التراث الإنساني العالمي، ولم يقتصر تأثيرها على مجرد النقل والترجمة إلى معظم اللغات الإنسانية، بل أصبحت شخصية " دون كيشوت" شخصية رمزية تشير إلى نمط من التفكير والأسلوب الحياتي.

* استوحت منها الثقافات المختلفة رموزا وأفكارا لا تحصى واستخدمتها في تراثها الفكري والأدبي.

د/ آراء النقاد في الرواية:

- يجمع الكثير من النقاد والدارسين على أنّ هذه الرواية استطاعت بسخريتها وروحها الفكاهي أن تحطم الكثير من الأصنام، خاصة المفاهيم الخيالية التي كانت سائدة في القرن (16) بحكاياته الخرافية غير الواقعية عن بطولات خيالية لأبطال تفوق قدراتهم قدرات البشر.
- تسببت دون كيشوت حسب النقاد في موت الروايات الرومانسية القديمة، كما تخلّص الدب الروائي من حجمه الكبير ونزل إلى مستوى الحياة العادية.

- في ترجمته للطبعة العربية لهذا العمل يقول عبد الرحمان بدوي: " إنّ روائع الأدب العالمي أربع هي: الإلياذة لهوميروس، والكوميديا الإلهية لدانتي، ودون كيشوت لسرفانتس، وفاوست لغوته"

- أما ميلان كونديرا فيشير في كتابه " فن الرواية" إلى أهمية هذا العمل وتأثيره في فن الرواية العالمية بقوله: " عندما كان الاله يغادر تدريجيا المكان الذي منه كان يقود العالم ونظام قيمه ويفصل بين الخير والشر، ويمنح معنى لكل شيء، خرج دون كيشوت من بيته ولم يعد بمقدوره اطلاقا تعرّف العالم(...)، هكذا نشأ عالم الأزمنة الحديثة، ونشأت معه الرواية بوصفها صورة هذا العالم ونموذجه" ص 14.

وبعد هذا اعتبر سيرفانتس المؤسس الحقيقي للرواية العالمية الحديثة.